٤ــ نموذج آخر من تراجم الشعراء :

الشيخ حسين العشاري

Cheïkh Huṣeïn 'Uchâry.

نسبه ونسبته

هو نجم الدين الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ حسن بن محمد بن فارس العشاري البغدادي ، الفقيه الاصولي ، الكاتب الشاعر الاديب المتفنن .

ولد ببغداد سنة ١١٥٠هـ ١٧٣٧م وأصله من بلدة قائمة على نهر الخابور الذي ينصب الى الفرات تسمى (العشارة) (بضم الاول) لسكنى العشاريين الذين منهم المترجم فيها . ولعل العشاريين هؤلاء منسوبون الى ابي طالب(١) محمد بن علي بن الفتح الحربي (بضم ففتح) المعروف بابن العشاري من اهل بغداد . قال السمعاني في كتاب الانساب : وهذا لقب جده لانه كان طويلا فقيل له العشاري لذلك . والحربي بضم الحاء وفتح الراء نسبة الى حرب . قال ابن حبيب « كل حرب ساكن الراء إلا التي في منجح فانه حرب بن مطية بن سهل بن حكيم بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد . وفي قضاعة حرب بن قابط بن بهر . اه » وعلى كل فهو اما قضاعي واما منجحي . وله من قصيدة يذكر العشارة ويمتدح الشيخ اباطالب والشيخ عثمان العشاريين :

سقى الله تلك الدار هامية القطر ... مدى الدهر ماناح المطوق والقمري
وعم ديارا قد عفا الان رسمها ... على انها في الناس طيبة الذكر
واحيا به روض (العشارة) كلما ... تحدر دمع من جفون على صدر
وروح اقواما هناك قبابهم ... لقد ضربت حقا على المجد والفخر
حموا بشفار البيض والسمر حوزة ... بمثلهم تسمو على البيض والسمر
غيوث اذا اعطوا ليوث اذا سطوا ... بحار ايديهم تفوق على البحر
من النفر السامين في آل حمير ... يخوضون نار الحرب بالضمر الشقر
فروع تيقنا بأطيب اصولها ... من الباسقات الطلع والسادة الغر

(١) كان من كبار المحدثين عالما سديد السيرة الكاتب

فمنهم امام الفضل والعلم والتقى ابو طالب الحربي ذو المدو الجزر
ومولى الورى عثمان ذو النور والهدى وسلطان اهل الكشف في ذلك العصر

مبتدأ حياته وخبرها

اخذ العشاري العلم والادب ببغداد عن السيد صبغة الله الحيدري والشيخ عبدالله السويدي وابنه الشيخ عبدالرحمن . وتفقه بمذهب الشافعي . واولع بالنحو واللغة والشعر ونسخ بخطه الجميل شيئا لايحصى من دواوين الشعر العربي الفحل وكتب الفقه . وقد تملكت في شعبان سنة ١٣٤٢هـ ١٩٢٣م مجموعة لطيفة بقلمه تشتمل على ثلاثة دواوين : ديوان حسان بن ثابت من كتاب محمد ابن حبيب مما قرىء على ابي علي الصفار فرغ منه في شوال سنة ١٢٧٤هـ وعليه تعليقات له . وديوان الامير جمال الدين ابي منصور علي بن عبدالله بن المقرب فرغ منه في العشر الثالث من صفر سنة ١١٧٥هـ . وسقط الزند لابي العلاء المعري وفرغ منه سلخ ربيع الاول سنة ١١٧٥هـ . ورأيت في الخزانة النحجوانية في مدرسة مرجان كتبا عدة بقلمه منها تحفة ابن حجر بمجلد ضخم دقيق الحروف جليها يكاد يكون معجزا بحسن خطه وصحته وهو هدية الوزير داود باشا الى الامام السيد محمود الالوسي سبط المترجم . ورأيت ايضا الدر المختار ولكنه دون التحفة .

ويظهر انه كان يستنسخ بقلمه شطر رزقه كما هي حال اغلب اهل العلم في العصر الخالي وقد وردت في ديوانه (ص٢٠٣) ارجوزة (ارسل بها الى سليمان بك الشاوي وقد اشار عليه بنسخ شرح الواقف وذهب الى الحج) تؤيد ذلك .

وفي الجملة انه اشتغل اشتغال جد واتقان واخلاص واستفاد من نسخ الكتب المختلفة الفنون علما جما وادبا غزيرا حتى صار من اعيان الفقهاء ونوابغ الادباء . فراسله اهل الفضل وشهدوا له بعلو المكانة ونباهة الشأن وقد قال المرادي في سلك الدرر بحقه « هو الشيخ الامام العالم الاديب الاريب الفطن النظام صاحب الكمالات الشائعة والنوادر الذائعة . . . له تضلع كلي في (كذا) سائر العلوم معقولها ومنقولها . . . كان مشهورا بحسن الاملاء والانشاء والنظم البليغ » . وقال شيخنا في المسك الاذفر « كان من اعلم اهل عصره في مصره بفقه الشافعية وكان يسمى الشافعي الصغير » .

وقد كان من المقربين المحبوبين عند الوزير سليمان باشا الكبير وولاه سنة ١١٩٤هـ (١٧٨٠م) تدريس البصرة ولكنه لم تطل مدته فيها فتوفي رحمه الله ولم يعين احد زمان وفاته .

آثاره

له تآليف وقفت على بعضها في الخزانة النعمانية . فمنها حاشيته على شرح الحضرمية بقلمه ، وكتاب الاوراد ، ورسالة في مباحث الامامة . وتعليقات على جمع الجوامع للمحلي ، وتعليقات على كثير من كتب النحو ، وديوان في اغراض متنوعة قد مج بعضها ذوقي وانكرت عليه اغراقه وغلوه في مدح الصحابة وآل البيت الذي تجاوز به حدود العقل والشرع ونسي ما يلزمه به الدين الاسلامي من التوحيد الخالص . ونحن اذا عذرنا كثيرا من الشعراء الذين وصفهم الله بقوله « والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون » فلا يسوغ لنا ان نعذر شاعرنا الفقيه الذي كان عليه ان يكون اولى الناس دخولا فيمن استثناهم الله بعد ذلك بقوله : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » الاية . وفي الديوان غث وسمين ، ورخيص وثمين ، وقد اقر بذلك صاحبه فقال « ان مراتب اشعاره بحسب مراتب شاعره وترقيه اولا فاولا فما كان منه ضعيف الحركات قليل الثبات فهو مما نظمته اول الحالات وما كان متوسطا في المقال فقد نسجته في اوسط الاحوال وما بلغ من الحسن الغاية فهو من مرتبة النهاية » ونسخته في (النعمانية) بقلم شيخنا السيد علي علاء الدين الالوسي مما وجده بخط ناظمه وبلغني ان منه نسختين عند بعض اهل العلم وفيهما قصائد لا توجد في الاولى . وقد آن ان نسمعك شيئا من شعره ونثره .

شعره

قال من قصيدة في شيخه الحيدري — وقد رأيتها في ديوان الازري المطبوع في الهند منسوبة اليه خطأ وناشره ينحله ابياتا اخرى ايضا وليست له :

العلم جسم انت عنصر مجده والفضل سيف انت جوهر حده
لم تعرف العلياء كيف تهزه حتى كتبت علاك في اغرته
نظر الزمان اليك نظرة شيق وسعى اليك بشكره وبحمده

فغدوت رونق حسنه وجماله وحياة هيكله وحمرة خده
فكأنما الفضلاء من ابنائه ورد وانت عصارة من ورده

الى ان يقول :

من كان مفتخرا بنسبة حمير ففخاره بالمصطفى وبمجده
تلك المفاخر لا مفاخر تبع هيهات من قاس الشريف بعبده

وقال يصف الربيع بالمدائن :

قف بالمنازل يمناها ويسراها وسرح الطرف اداناها واقصاها
منازل نزلت غر السحاب بها ووابل الغيث وافاها فأحياها
وقد كساها الحيا من نسجه حللا والورد بالحسن وشاها وحلاها
تنوع الحسن في ارجائها فلذا قلوبنا وقلوب الناس تهواها
فما ترك الدار لولا حب ساكنها ولم افارق حبيب القلب لولاها
فانظر اقيصومها قد تمد ساعده وآسها ماد حتى طاب رياها
والرند يعبق في الاقطار حين رنت كتائب الشيح فاستغنى برؤياها
والنرجس الغض يرنو نحو نرجسها شزرا فيضرب اولاها باخراها
والارض تهتز من جيش الربيع فلا تعجب فربك بعد الموت احياها
ونهر دجلة يجري في مجرته شمارة كان بسم الله مجراها
والجو يضحك اعجابا بقدرة من بناصع الحسن انشاها وسواها

وله :

ارى الامال قد نتجت وطابت نتائجها وآمالي عقيمه
ارتبها باقيسة صحاح فتصبح وهي اقيسة سقيمه

وله في وصف الربيع (١) من قصيدة في المدح :

نزل الربيع فمرحبا بفصوله وبعطر نرجسه وغض جفونه
وبورده الزاهي على اغصانه وبنوره الفتان في تلوينه
وبروضه الغض الانيق ومائه الـ ـعذب الرحيق وجزيه وسكونه
وبجيشه المهتز ان سرت الصبا وبلطفه المخبوء في مكنونه

(١) ينظر فيه الى دالية صفي الدين الحلي

فصل اذا صدحت بلابل روضه ... غمز الحمام بلحظه وعيونه
واذا به القمري صاح مغردا ... فضح اليراع بصوته ورنينه
واذا تمايلت الغصون بدلها ... مال الكثيب بحزنه وشجونه
نشرت نوافجه وفاح عبيره ... وشجا القلوب بطيره وحنينه
وتحللت اوراده وتضلعت ... وراده من مائه وعيونه
وترنحت قضبانه وتلفتت ... غزلانه في غنه وسمينه
جاء الربيع وجادنا في فصله ... عيد رأينا السعد في مضمونه
جاء (لأسعد) بالهنا وكلاهما ... لم يأتيا إلا للثم يمينه

وقال في سليمان بك الشاوي واخيه سلطان بك وقد خرجا يصطادان :

هي ظبية في صورة الانسان ... فاسأل بجيك الجيد والعينان
نزلت على سقط العذيب قراعها ... صوت اليراع ونغمة العيدان
واستنشقت ريح البشام وشاقها ... شيح الربا ونوافح الكثبان
فتلفتت كالظبي فارق الفه ... ورنت كما هي عادة الغزلان
وتذكرت عيشا لها في جيرة ... ضربت قبابهم بذات البان
شوس اذا اشتد اللقا فضياغم ... يجرون بجري السيل في الميدان
نزلوا بقازعة الطريق وشيدوا ... تلك الجفان الغر الضيفان
قوم يسانيون إلا انهم ... قد صاهروا الاشراف من عدنان
من فتية شحكتروس رماحهم ... تيجان كسرى صاحب الايوان
وبمهجتي اخوين من ساداتهم ... عزما على البيداء يصطحبان
اسدان قد ولعا بصيد فريسة ... وتعودا لتطاعن الفرسان
في مهمه حسد السماء محله ... اذ في ذراه اشرق القمران
والبر يضحك اذ جرى في عرضه ... بحران باليا قوت والمرجان
بحر سليمان الامام محله ... وقرينه السلطان بحر ثان
غصنان قد سقيا بماء واحد ... فتشابها وتشاكل الغصنان
من دوحة عربية يمنية ... والفرع منها باسق الاغصان
فكل اذا ابصرته شبهته ... باخيه والشيئان يشتبهان

ادركت ادراك النوال اخا الهدى ... فانزل على سلمان او سلطان
فردا ولا تجمع (هديت) فانني ... اخشى عليك اتن من الطوفان
هب انت تحسن عوم بحر واحد ... اتعوم والبحران يلتقيان؟
ويشيم طرفك ضوء بدر واحد ... ايشيم والبدران مجتمعان؟
وتطيق حمل ابي قبيس وحده ... ايطاق مضموما الى ثهلان؟
ما انت مثلي اذ لقيتهما فلي ... صبر الكرام ونجدة الفتيان
يا باذلي بدر النقود وحاملي ... عبء الوفود بسائر الازمان
(لله دركما ودر ابيكما) ... مغني العفاة ومشبع الجوعان
فخذا بحق ابيكما من مدحتي ... نظما كنظم قلائد العقيان
طوقت جيدكما به لازينه ... بكما فبلغ غاية الاحسان
غض جرى في طبعه لما بدا ... ماء الصبا وطراوة الشبان
ما شأنه لكن الحضارة اذ اتى ... من شاعر يعزى الى قحطان
من معشر نزلوا (العشارة) برهة ... والان قد نزلوا على بغدان
ما شانهم ضد الغنا بل زانهم ... درس العلوم ونغمة القرآن
وكفى بنسبته لمالي مجدكم ... شرفا على الامثال والاقران
يدعى (الحسين) وانه بمديحكم ... يدعى بنابغة الورى حسان

وله من قصيدة :

خل الجفون تسيل سيل الوادي ... فلقد أحست بالنوى بلحاد
وقف الرواحل ساعة فلعلما ... اشفي بترنيها غليل فؤادي
واحبس هوادجها علي فان في ... تلك المرابع منيتي ومرادي
ساروا الى دار البلى وبقيت في ... قفص الهوان وقسوة الصياد
ما ضرهم لو قدموني دونهم ... فرطا فالقاهم على ميعاد
حملوا باعناق الرجال وخيموا ... بعد الديار بجانبي بغداد
نزلوا بافئدة البيوت وليتهم ... نزلوا بضيق نواظري وسوادي

محمد بهجة الاثري